من اوراق اسبوع المدى الثقافي السادس

السينما العراقية وشروط الخطوة الأولى

لا تخفى على احد ، أهمية الوعي الكبيرة في التعاطي مع الصورة ، سواء في السينما أم التلفزيون أم الفن التشكيلي. والوعي الجمعي العراقي منشغل الآن بأساسيات حياتية أخرى لا تتيح له الوقت الكافي ، لتنمية حسه بأهمية الصورة. وتتم عملية إنتاج العمل البصري ، في الغالب ، دون تفاعل أو تمثل على مستوى الواقع الحياتي بالشكل المطلوب ، وبهذا يصبح التراكم الايجابي ، في التجربة البصرية المطلوبة ، عسيرا جدا. أن التدمير الممنهج الذي طال مفاصل الثقافة كلها في زمن الدكتاتورية ، ما زال تأثيره حاضرا وسيمتد إلى زمن ليس بالقصير ويقع على الجميع عبء معالجة آثاره من خلال العمل المتواصل والبحث في السبل التي تديم عملية إنتاج الخطاب الثقافي ، البصري منه على وجه الخصوص ، فلدينا الآن الحرية ، وعلينا أن نقاتل ، من اجل الحفاظ عليها.

حميد حداد

تأتي ضرورة إعادة النظر في عملية توجيه الخطاب البصري في مقام متقدم من أولويات المعنيين بإنتاج هذا الخطاب، ولابد من العناية بمسألة تدريب المتلقي على طريقة جديدة في استيعاب الصورة والتعامل معها على أنها فن لا تصل رسالته إلا إذا تم التفاعل معها، بوصفها رسالة صورية لها مقوماتها وشروطها وتقنياتها الخاصة وعليه يتوجب أن تكون طريقة تلقيها خاصة أيضا، ويعتمد ذلك على تراكم صوري لدى المتلقي. ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بتضافر الكثير من الجهود وفي المقدمة تأتي جهود منتجي الخطاب الصوري، ثم المؤسسات الإعلامية. في الترويج لدور الصورة المشتغل عليها بدقة. وما يعنينا هنا في هذا المقام هو مجال التعبير السينمائي. ولان الجهود التي تبذل من قبل الكثير من المعنيين بالسينما والمدفوعين بصدقهم وطموحهم في الاتجاه إنشاء سينما عراقية تتوفر على الشروط الأساسية التي تقوم عليها أية سينما في العالم، فلابد إذن من مناقشة هذا الجانب بالكثير من الوضوح.

تواجه عملية صناعة سينما عراقية حديثة، الكثير من التحديات، أهمها أنها تفتقر إلى ابسط شروط الإنتاج السينمائي، إذ إن المشروع السينمائي، لا يمكنه أن يتم، إلا بوجود مؤسسات كبيرة، كشركات إنتاج، واستوديوهات تمتلك معدات متطورة، ومدارس خاصة تعتمد أنظمة تعليم حديثة، وصناديق دعم الإنتاج السينمائي، تنشئها الدولة من دون أن تفرض عليها وصايتها بالطبع لضمان استمراره، وتوفر دور العرض السينمائي، والاهم من ذلك هو خلق متفرج مدرب على التعاطي مع الصورة السينمائية. والانتباه إلى أن اعتبار ما أنجز من أفلام أو تجارب المخرجين الذين أنجزوا أفلامهم في السنوات الأخيرة، كحالة طبيعية والاستمرار بالطريقة نفسها، هو خطأ كبير، على الرغم من أهمية هذه التجارب التي تمخضت عن أفلام جيدة، ذلك لأنهم لم يجدوا أمامهم سوى أن يخوضوا التجربة من دون النظر إلى الصعوبات التي تواجههم، لكن ذلك لا يعني أن تستمر الحالة على هذا النحو. ولا يعني أن الصعوبات الموجودة سهلة التجاوز. ومهما كانت النيات الفردية صادقة، فإنها من الممكن أن تصنع أفلاما جيدة، لكنها غير قادرة على النهوض بصناعة سينمائية حقيقية على غرار ما موجود في الكثير من دول العالم، ولدينا أمثلة كثيرة، في دول عربية عديدة، منها سوريا على سبيل المثال، فقد أنجز السينمائيون السوريون الكثير من الأفلام المهمة، غير أنهم لم يستطيعوا لحد الآن أن ينشئوا سينما بالمفهوم الواسع، كذلك الحال مع ما نسميه تجاوزاً "السينما العراقية". فالأفلام العراقية التي أنتجت في السابق، اغلبها جيد، على الصعيد الفني، على الرغم من اختلافنا مع مضمون أكثرها، فقد توفر اغلب صانعيها، على حرفية معقولة، لكنهم لم يتمكنوا من صنع ذاكرة سينمائية عراقية، لأنهم صنعوا أفلامهم خارج السياق السينمائي الذي نعنيه، على الرغم من أنهم وضعوا بعض الأسس التي علينا أن ننظر إليها بوصفها إرثا، وليس من الحكمة القطيعة معها. وضمن هذا التصور، فان الأسس التي يفترض بالسينمائيين العمل على تأسيسها، موجودة بالفعل وان كانت بشكل بسيط، وهي تحتاج إلى عمل كثير، ومضن، من جميع الأطراف، وفي المقدمة يأتي السينمائيون أنفسهم، من اجل ترسيخ تلك الأسس. يصاحب هذه الجهود، العمل على توفير الإمكانات الضرورية لاستقطاب أصحاب رؤوس الأموال، الذين من الممكن أن يستثمروا أموالهم، في الإنتاج أيضا وفي إنشاء استوديوهات متطورة، ومدارس خاصة، تكون ملزمة بإتباع احدث الوسائل في التعليم وتعتمد معدات حديثة ومواكبة لما هو حاصل في الدول المتطورة سينمائيا، ولا بأس في أن تفكر في الجانب الربحي، فهذا مهم لها من اجل ضمان الاستمرارية والمواكبة. وطالما أن العملية الإنتاجية قد بدأت وان بوتيرة بطيئة ومعتمدة على الجهود الفردية، سواء السينما الروائية أو الوثائقية، فلابد من المواصلة، مع الأخذ بنظر الاعتبار أهمية أن تكون عملية الإنتاج خاضعة لأسس صحيحة وحديثة تعطي الجانب التخصصي دوره الكامل.

أهمية التخصص

لا يمكن للسينما أن تقوم بالجهود الفردية وحدها لان السينما عمل جماعي، كما هو معروف، والتجارب الفردية يمكن أن تشكل انبثاقات خاصة، ويمكنها أيضا أن تسهم في خلق تيارات مختلفة تكسر السائد، ضمن سينما قائمة أصلا، لها مقوماتها وسياقها التاريخي ولها سوقها، كما حدث مع سينما المؤلف والواقعية الجديدة في ايطاليا، أو السينما الجديدة في فرنسا، أو السينما المستقلة في الكثير من الدول، أو حتى الواقعية الجديدة في مصر. وطالما أننا نتحدث عن سينما لم تقم بعد بالمفهوم الحقيقي للسينما الذي ننشده، فلا بد من الإشارة إلى نقطة جوهرية في العمل السينمائي إلا وهي التخصص.

تأتي أهمية التخصص من ضرورة أن يظهر العمل السينمائي بالشكل اللائق، ولا يمكن أن يحصل ذلك إلا بتضافر جميع التخصصات وتفهم الجميع بأهمية دور كل واحد منهم، بوصفه مكملا لعمل زميله وتكون له القدرة على صهر دوره في قالب موحد هو العمل السينمائي لأنه الغاية النهائية. ومسالة الاعتقاد بأن المخرج قادر على انجاز الفلم بنفسه هو وهم، أن تراكم الأخطاء التي يرتكبها من يقوم بانجاز الفلم لوحده، تمتد إلى كل جوانب ذلك الفلم، أي أن الأخطاء التي ترتكب في السيناريو وتلك التي تحدث في التصوير، وأخيرا أخطاء الإخراج، تكون كلها في عمل واحد في الوقت الذي يفترض فيه أن يتدارك المونتاج ما وقع من أخطاء في مرحلة التصوير وكذلك المخرج الذي يتلافى ما وقع فيه كاتب السيناريو من قصور في الرؤية – وهذا الأمر يتعلق بالفلم الوثائقي أكثر من غيره، لأنه في الغالب يتم بدون سيناريو حقيقي قائم على بحث عميق- وهكذا الحال، إلى أن يصل العمل إلى درجة تتحقق فيها الرؤية المشتركة المتكاملة، بين كتابة السيناريو والتصوير وتقنية المونتاج والرؤية الإخراجية. فضلا عن أهمية توفر القدرة للمخرج على تشكيل فريق عمل متجانس، يشعر كل شخص فيه بأهمية دوره ضمن العملية ككل. أيضا، هناك أمر في غاية الأهمية، هو الجهد الهائل المبذول من قبل صانع الفلم مما قد يؤدي إلى الإجهاد ويؤدي ذلك بدوره إلى قلة التركيز في التفاصيل الصغيرة المهمة، أو يؤدي إلى تساهل صانع الفلم في الكثير من الأمور التي ليس من الصحيح التساهل فيها، وهذا ما حصل مع الكثير من الأفلام التي أنجزها أصحابها بجهودهم الفردية. والتجربة التي استخلصناها من المقارنة المنطقية التي لا بد من أن تعقد بين ما أنجزه سينمائيونا وبين ما ينجزه الآخرون، فالهنات والأخطاء التي تضمنتها الأفلام العراقية تؤكد ما نذهب إليه. والاستمرار على هذا النحو يعبر بالتأكيد عن قصور في الفهم، لا يساعد على إنشاء تقاليد صحيحة في التعامل والسلوك بين مختلف التخصصات، وسوف تتعثر العملية طويلا قبل أن يتوصل السينمائيون إلى تقاليد صحيحة في الوقت الذي يمكن فيه تجنب ذلك التعثر.

لدينا الآن أفلام جيدة على الرغم من الظروف الخاصة والصعبة التي تم فيها إنتاجها، وهذا ما يدعو للتفاؤل، فـ "أحلام" لمحمد الدراجي، و"غير صالح" لعدي رشيد، فلمان لشابين لهما مستقبل جيد في السينما (الروائية) ولهما فضل المخاطرة في ارتكاب الخطوة الأولى وبدونها لا يمكن البدء. ولدينا أفلام وثائقية كثيرة، هي جيدة بحق، منها على سبيل المثال "العراق وطني" و"سندباديون" لهادي ماهود، و"١٦ ساعة في بغداد" لطارق هاشم، و"العراق أغاني الرجال الغائبين" لليث عبد الأمير، وغيرها، كلها أنجزت في السنوات الخمس الماضية، دون نسيان أن هذه الأفلام -ربما ما عدا فلم "العراق أغاني الرجال الغائبين" الذي أنجز على أسس إنتاجية صحيحة، وسنأتي إلى تبيان ذلك في مناسبة أخرى- جميعها قد أنجزت بالطريقة التقليدية، أي أفلام فردية أصحابها مدفوعون برغبة انجاز أفلام بمعزل عن أي سياق جماعي مؤسساتي، على الرغم من الحلم الذي يحدوهم بوجود سينما عراقية حقيقية.

لأول مرة: العراق في المؤتمر العالمي للأرشيف السينمائي

خاص بالمدى/ باريس

عقدت في العاصمة الفرنسية باريس من ١٧ إلى ٢٦ نيسان الدورة الـ ٦٤ للمنظمة العالمية للأرشيف السينمائي.. وقد شارك العراق لاول مرة في هذا المؤتمر.

ومثل العراق في هذه التظاهرة المخرج السينمائي العراقي عدي رشيد نيابة عن مدير عام دائرة السينما والمسرح، حيث تم إلقاء كلمة الدائرة من قبله ومن ثم قام بشرح تفصيلي لوضع الأرشيف السينمائي الوطني العراقي المأساوي و المشكلات التي تهدد تلفه في أي لحظة، بعدها تم فتح حوار مفتوح مع المؤتمرين لتوضيح الصورة بالكامل.

واجمع المؤتمرون على ضرورة مد يد العون إلى السينما العراقية عموماً والأرشيف بشكل خاص، والمهم هنا، ان تقوم وزارة الثقافة بالخطوات الجدية المطلوبة منها لتثبيت عضوية العراق في هذه المنظمة السينمائية التي تعد الأعلى في مضمار الفعالية السينمائية.

وعلى كل مستويات العمل السينمائي. عالمياً، وكان الفنان عدي رشيد قد حصل على جائزة احسن سيناريو عن فيلمه (غير صالح للعرض) في مهرجان وهران الذي اقيم مؤخراً في الجزائر وشارك فيه عدد من اهم المخرجين العرب امثال رشيد مشهداوي ونوري بوزيد ومروان حامد وغيرهم.

غدا افتتاح مهرجان كان

ترقب واثارة واستعادة أمجاد "المفتش هاري"

المدى/ وكالات

يبشر مهرجان كان الواحد والستون الذي يبدأ غدا الاربعاء بكثير من الاثارة والتشويق وسط تنافس افلام من دول عدة منها اسرائيل والارجنتين والفيليبين بعضها خارج عن الانماط المألوفة وفي ظل الترقب الشديد المحيط بعودة كلينت ايستوود الى المهرجان.

ويفتتح المهرجان الذي يستمر بين ١٤ و٢٥ ايار/مايو بعرض فيلم "بلايندنس" من بطولة جوليان مور ومارك روفالو وداني غلوفر وغايل غارثيا برنال، من اخراج البرازيلي فرناندو ميريلس الذي سبق ان شارك في مهرجان ٢٠٠٢ بفيلم "مدينة الله" حول حرب العصابات في ريو والذي حقق نجاحا باهرا.

والفيلم المقتبس عن رواية تحمل العنوان نفسه للكاتب البرتغالي جوزيه ساراماغو الحائز جائزة نوبل للاداب عام ١٩٩٨، يتحدث عن انتشار وباء غامض يصيب بالعمى.

وبعد خمس سنوات على فيلم "ميستيك ريفر"، يعرض المخرج والممثل كلينت ايستوود في مهرجان ٢٠٠٨ فيلم "تشانجلينغ" (التبديل) الذي تقع احداثه في اميركا العشرينيات وتجسد فيه انجيلينا جولي دور امرأة خطف ابنها.

ومن المحتمل ان يفاجيء ايستوود هواته بظهوره على شواطئ كان حيث سيتم عرض نسخة تم ترميمها رقميا للفيلم الشهير "المفتش هاري" من بطولته.

ويتميز مهرجان كان بحضور قوي لنجوم السينما الاميركية مثل انجيلينا جولي وبينيسيو ديل تورو الذي يجسد شخصية الثائر ارنستو غيفارا في فيلم "تشي" لستيفن سودربرغ، وبينيلوبي كروث وسكارلت جوهانسون التي تلعب في فيلم وودي آلن الاخير "فيكي كريستينا برشلونة"، فضلا عن هاريسون فورد وستيفن سبيلبرغ اللذين اجتمعا هذه السنة لاستكمال سلسلة مغامرات "انديانا جونز" بفيلم رابع.

ومن النجوم غير السينمائية التي ستظهر في مهرجان كان هذه السنة الملاكم الاميركي مايك تايسون الذي شكلت حياته مادة فيلم يشارك في المهرجان ضمن فئة "نظرة ما" ولاعب كرة القدم الارجنتيني الاسطوري دييغو مارادونا الذي صور المخرج امير كوستوريتسا فيلما وثائقيا عن حياته.

ويستضيف المهرجان مخرجين سبق ان فازوا بسعفة ذهبية وهم اتوم ايغويان مع فيلم "ادوريشن" وفيم فندرز مع فيلم "ذي بالرمو شوتينغ" والشقيقان داردين (فازا بالسعفة الذهبية في ١٩٩٩ و٢٠٠٥) مع فيلم "صمت لورنا".

الا ان هذه الاسماء الشهيرة تحاذي اسماء جديدة واعدة.

ويستحضر الاسرائيلي اري فولمان ذكريات شخصية أليمة في فيلم رسوم متحركة وثائقي وفق نوع جديد يطلقه في السينما، حول المجازر التي ارتكبت في مخيمي صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين في بيروت عام ١٩٨٢.

كما يشارك مخرجان شابان ارجنتينيان سبق ان قدما الى كان غير انهما يشاركان للمرة الاولى في المسابقة للفوز بالسعفة الذهبية الرسمية، وهما يعرضان فيلمين يعالج كلاهما قصة امرأة.

ويعرض بابلو ترابيرو فيلم "ليونيرا" حيث تجسد صديقته مارتينا غوسمان دور والدة مرغمة على تربية طفلها في السجن، فيما تعرض لوكريسيا مارتيل فيلم "امرأة بدون رأس" حيث يسيطر الندم على ماريا اونيتو بعد حادث سيارة تخشى ان تكون قتلت فيه احد. ويضاف الى هذه المجموعة المميزة من المخرجين الاميركيين اللاتينيين المشاركين في مهرجان هذه السنة، البرازيلي والتر ساليس الذي يعرض مع دانييلا توماس فيلم "لينا دي باسي".

وبين الافلام المرتقبة لمخرجين شبان "٢٤ سيتي" حيث يدقق جيا زانغي في تصدعات الصين الشيوعية نتيجة تفشي الرأسمالية اخيرا، و"سيربيس" حيث ترسم بريانتي مندوزا صورة عشاق فيليبينيين، و"القرود الثلاثة" للتركي نوري بيلج جيلان.

وسبق ان شارك جيلان الذي يسرد المشاعر بحس مرهف في مهرجان ٢٠٠٦ بفيلم "المناخات" الذي تميز ببراعة تصويره وطغى عليه تأثير المخرج الايطالي مايكل انجيلو انطونيوني.

ومن الجانب الفرنسي، يقدم ارنو ديبليشان "قصة عيد الميلاد" الذي يروي قصة عائلية مضطربة من بطولة كاترين دونوف وماتيو امالريك، ويعرض لوران كانتيه فيلم "بين الجدران" عن الحياة في مدرسة لاطفال من احياء صعبة، فيما يصور فيليب غاريل ابنه لوي في فيلم "حدود الفجر".

المخرج الايطالي تورناتوري يصور فيلمه الجديد في تونس

يصور المخرج الايطالي جيوزيبي تورناتوري حاليا في تونس فيلمه الجديد "ابواب الريح" الذي يتناول مواضيع اجتماعية حساسة على خلفية قصة عائلة ايطالية.

المدى/ وكالات

وقال التونسي طارق بن عمار المنتج المنفذ للفيلم خلال لقاء صحافي مساء الجمعة "على خلفية قصة حب بين زوجين مستوحاة من حياة تورناتوري يتناول المخرج في عمله السينمائي الجديد مواضيع من التابوهات في ايطاليا في الفترة ما بين اعوام ١٩٣٠ و١٩٧٠ ويقف عند ظواهر متفشية من ابرزها المافيا".

واوضح ان "الفيلم عبارة عن لوحة زيتية مشحونة بالعواطف تشكل الوانها الزاهية والقاتمة مختلف التطورات الايجابية والسلبية التي شهدتها ايطاليا في تلك الفترة من القرن الماضي".

واضاف ان "تورناتوري باشر بتصوير مشاهده الاولية في مدينة باريا في جزيرة صقلية الايطالية مسقط راسه قبل ان يصل طاقم تقني كبير يضم تونسيين وايطاليين الى تونس حيث بدات عملية التصوير في كانون الثاني الماضي وتستمر ستة اشهر".

ويستخدم الفيلم في منطقة بن عروس في الضاحية الجنوبية للعاصمة التونسية ديكورا ضخما بتكلفة تقدر بستة ملايين دولار ضم مدنا ايطالية باكملها كانت مسرحا لاحداث الفيلم العاشر لتورناتوري الذي يعد احد المخرجين البارزين في ايطاليا.

وقد احرز منذ ١٩٨٧ تاريخ ميلاد فيلمه الاول "سيد الكامورا" نحو ٢٥ جائزة في مهرجانات دولية لا سيما مهرجان كان الفرنسي.

ومن بين ابرز اعماله السينمائية "لينينغراد فيلم معلن" و"بائع الاحلام" و"سينما الجنة" و"كلهم في صحة جيدة".

واختار تورناتوري ممثلين تونسيين وايطاليين مبتدئين للقيام باهم الادوار في الفيلم الذي راى المنتج التونسي انه "من النوع الكوميدي والتاريخي الذي يولي اهمية اكبر للذاكرة الشعبية منها للوجوه السينمائية المعروفة".

من ناحيته اشار المخرج الايطالي الى انه اختار تونس لتصوير الجزء الاكبر من مشاهد الفيلم "بسبب ظروف التصوير الرائعة على جميع الصعد".

ويتوقع ان يكون الفيلم الذي تبلغ موازنته ٢٥ مليون يورو جاهزا نهاية عام ٢٠٠٨.

ومن المقرر ان يشارك في ايام قرطاج السينمائية ومهرجان كان الفرنسي في دورتيهما المقبلتين.

ويعد بن عمار (٥٨ عاما) من بين المنتجين العرب والاجانب الذين لهم بصماتهم في صناعة السينما العالمية.

واوضح بن عمار انه غادر تونس وعمره ثلاثون عاما "ولم اكن اعرف انذاك شيئا عن السينما ولا عن التكنولوجيا ولم تكن لي علاقات مع اهل السينما، لقد عملت وثابرت للوصول الى المستوى الذي انا فيه".

ويملك بن عمار مع رئيس الحكومة الايطالية سيلفيو برلوسكوني في منتجع منطقة الحمامات على بعد ٦٠ كيلومترا جنوب العاصمة التونسية استوديوهات ضخمة اطلق عليها اسم "امبريوم"، وتم في اطار هذا التعاون انجاز اكثر من عشرين فيلما طويلا.

كما يملك اغلب المختبرات السينمائية الفرنسية.

وانتج بن عمار الحاصل على دبلوم تجارة دولية سنة ١٩٧٠ اكثر من خمسين فيلما بميزانية تقارب ٥٠٠ مليون دولار. ومن افلامه "القراصنة" من اخراج رومان بولانسكي.

وافتتح بن عمار العام الماضي في منطقة قمرت في الضاحية الشمالية للعاصمة تونس اول "مركز سينمائي تونسي يحتوى على تقنيات عالية ستجعل من تونس قاعدة للانتاج السينمائي على المستوى العالمي باسعار لا تقبل المنافسة".

واوضح بن عمار ان "هذا مركز سيعطي دفعا لانتاج الفيلم المغاربي والعربي والافريقي ويشجع المنتج والمخرج الاجنبي على اقامة شراكة مع التونسيين في هذا المجال".

ويحتل هذا المركز مكان "الساتباك" الشركة التونسية للانتاج والتوزيع التي توقفت عن العمل منذ اكثر من ٢٠ عاما.

وتبلغ مساحته ٥١ هكتارا وتقدر موازنته بنحو ثمانية ملايين دولار.

وبن عمار رجل اعمال ومستشار لمجموعة فيفندي الاوروبية وللامير السعودي المليادير الوليد بن طلال وهو قريب وسيلة بن عمار زوجة الرئيس الراحل حبيب بورقيبة.